الباب الثالث

السلطان منسا موسى

تنبيه : سلطان كنكن موسى هو أول منْ ملكَ سغى من سلاطين ملى ، صالح ، عادل ، لم يكن مثله فى الصلاح والعدل .

(رحلة حج منسا موسى)

قد حجَّ بيت الله الحرام ، وكان مشيه والله أعلم فى أوائل القرن الثامن فى قوة عظيمة وجماعة كثيرة والجند ، منهم ستون ألفاً رجالاً ، ويسعى بين يديه إذا ركب خمسمائة عبد ، وبيد كل واحد منهم عصى من ذهب ، فى كلٍّ منها خمسمائة مثقال ذهب ، ومشى بطريق ولاته فى العوالى وعلى موضع توات ، فتخلف هنالك كثير من أصحابه لوجع رجله أصابه فى ذلك المشى ، تسمى توات فى كلامهم ، فانقطعوا بها وتوطنوا فيها ، فسُمِّى هذا الموضع باسم تلك العلة .

فورَّخ أهلُ المشرق مجيئه [1] وتعجبوا من قوته فى ملكه ، ولكن ما وصفوه بالجود والكرم ، لأنه ما تصدَّق فى الحرمين مع كثرة مُلكه إلا بعشرين ألفاً ذهباً بنسبة ما تصدَّق به اسكيا الحاج محمد فيهما ، وهو مائة ألف ذهباً .

ودخل أهل سغى فى طاعته بعد جوازه إلى الحج وبطريقها رجع ، فابتنى مسجداً ومحراباً خارج مدينة كاغ صلى فيها الجمعة ، وهى هناك إلى الآن ، وذلك عادته رحمه الله فى كل موضع أخذته الجمعة فيها . وطرق تنبكت فملكها ، وهو أول ملوك ملكها وجعل خليفته فيها وابتنى فيها دارَ السلطنة فسُميت مع دك ، معناه فى كلامهم دار السلطان ، والموضع معروفة إلى الآن وصارت مجزرة للجزارين .

---

(١) ورَّخ أهل الشرق : أى كتبوا عنه ... ومن أشهر الكتابات التى تحدثت عن منسا موسى كتاب (التبر المسبوك) للمقريزى . و(صُبح الأعشى) للقلقشندى .

قال أبو عبد الله محمد بن بطوطة رحمه الله تعالى : كان السلطان منسى موسى يعنى مل كى كنكن موسى ، لما حج نزل بروض لسراج الدين بن الكويك أحد كبار التجار من أهل الإسكندرية ببركة الحبش خارج مصر ، وبها نزل السلطان واحتاج إلى مال فتسلفه من سراج الدين هذا ، وتسلف منه أمراؤه أيضاً ، وبعث معهم سراج الدين وكيله يقتضى المال فأقام بملى فتوجَّه سراج الدين بنفسه لاقتضاء ماله ومعه ابنٌ له .

فلما وصل تنبكت أضافه أبو إسحاق الساحلى [١] ، فكان من القدر موته تلك الليلة ، فتكلم الناس فى ذلك واتهموا أنه سُمّ ، فقال لهم ولده : إنى أكلتُ معه ذلك الطعام بعينه ، فلو كان فيه سُم لقتلنا جميعاً لكنه انقضى أجله ووصل الولد إلى ملى واقتضى ماله وانصرف إلى ديار مصر قال فيه : وبهذه البلدة قبر أبى إسحاق هذا، وهو الشاعر المعانى الغرناطى المعروف ببلده بـ (الطويجن) . وبها أيضاً قبر سراج الدين المذكور . انتهى كلامه .

وفى رابع وخمسين بعد سبعمائة سنة والله أعلم ، قَدِمَ الشيخ أبو عبد الله صاحب الرحلة [٢] تنبكت . وقيل : إن السلطان كنكن موسى هو الذى بنى صومعة الجامع الكبير التى بها ، ثم غزا إليها فى أيام دولتهم سلطان موش فى جيش عظيم ، فخاف منهم أهل ملى وهربوا وتركوا البلد لهم فدخل فيها وأفسدها وحرقها وخربها وقتل وأكل ما فيها من الأموال وولى إلى أرضه ، ثم رجع إليها أهل ملى وملكوها مائة عام.

قال العلامة الفقيه أحمد بابا رحمه الله تعالى : خربتْ تنبكت ثلاث مرات : الأولى : على يد سلطان موش [٣] . والثانية : على يد سن على . والثالثة : على يد الباشا محمود بن زرقون [٤] قال : وهى أضعف الأوليين ... وقيل :

---

(١) أبو إسحاق الساحلى ويُعرف بالطويجن ، شاعر ومهندس أندلسى ، اصطحبه منسا موسى بعد عودته من الحج .

(٢) صاحب الرحلة : المقصود به ابن بطوطة الذى زار دولة مالى ، وتحدَّث عن ملوكها ، ومظاهرها الحضارية .

(٣) موش : قبائل وثنية ، كانت تعيش فى منطقة غرب إفريقيا ، وقد كانت بينها وبين الامبراطوريات الإسلامية صراعٌ طويل ، وأشهر ملوكهم (نعسر) .

(٤) محمود بن زرقون : أحد الباشاوات ، والذين تولوا حكم سنغاى بعد الغزو المراكشى لها . وبعد عزل جودار قائد الحملة .

سفك الدماء فى خرابها سُنٍّ على أكثر منها فى خراب صاحب موش .

وفى آخر دولة ملى بـ (تنبكت) أخذ توارق مفشرن يُغيرون عليها ويفسدون فى الأرض من كل جهة ومكان وسلطانهم اكل [1] اكملول ، فتشوشوا من كثرة ضررهم وإذايتهم ولا يقفون لهم للمقاتلة . قالوا : البلد الذى لا يدفع عنها سلطانها لا يجوز له ملكها فسلموا فيها ورجعوا إلى ملى ، فملكها اكل المذكور أربعين عاماً تتمه .

(١) أكل : بمعنى اسمه عقيل .

obeikandl.com